الملتقى الوطني: الرواية الجزائرية المعاصرة وأسئلة الألفية الثالثة، مقاربات وشهادات.

يومي: 12و13 أكتوبر 2025.

الجهة المنظمة: المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة.

عنوان المداخلة: أزمة المثقف وتداعيات السلطة في رواية "كرّاف الخطايا" لعيسى لحيلح.

The crisis of the intellectual and the repercussions of power in Issa Lahilh's novel "The Carrier of Sins."

الدكتورة حميدة قادوم، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة.

الدكتورة ليلى رحامنية، جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس.

ملخص:

تبوأت الرواية الجزائرية المعاصرة مكانة مرموقة في مسار الرواية العربية بشكل يعكس أهمية القضايا التي تناولها الروائيون، وقد عرفت في الآونة الأخيرة تزايدا واهتماما كبيرا من قبل الأشخاص والمؤسسات على حد سواء، واشتدت المنافسة في هذا المجال للتويج بالجوائز العربية والإقليمية. فاتخذ الروائيون –في سبيل ذلك –من تاريخ الجزائر الحديث مجالا خصبا للكتابة والتأليف، ومن المراحل التي حظيت باهتمامهم مرحلة التسعينيات باعتبارها ظرفا تاريخيا طارئا سجّل نفسه بقوة للخوض في غمار مرحلة روائية جديدة.

وتعد تجربة عيسى لحيلح واحدة من النصوص الروائية التي أثارت قضية العلاقة بين (السلطة والمثقف) وما ينجر عن هذه الثنائية من صراعات اجتماعية يهيمن فيها أحدهما على الآخر. بناء على ما تقدم، تهدف هذه الورقة البحثية إلى محاولة إماطة اللثام عن فعل السلطة في المجتمع وردة فعل المثقف إزاء ذلك من خلال رواية "كراف الخطايا" لعيسى لحيلح التي تضع شخصية المثقف في صراع مع السلطة من جهة ومع المجتمع من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الرواية – الصراع –السلطة– المثقف– الأزمة.

Summary :

The contemporary Algerian novel has occupied a prominent position in the Arab novel's history, reflecting the importance of the issues addressed by novelists. Recently, it has witnessed a significant increase in interest from individuals and institutions alike, and competition in this field has intensified for

the award of Arab and regional prizes.To this end, novelists have taken Algeria's modern history as a fertile ground for writing and authorship. One of the periods that has received their attention is the 1990s, as it represents a unique historical circumstance that has strongly established itself as a means of embarking on a new novelistic phase.

Issa Lahilh's experience is one of the novels that raises the issue of the relationship between (authority and intellectuals) and the social conflicts that result from this duality, in which one dominates the other

Based on the above, this research paper aims to attempt to uncover the influence of authority in society and the intellectual's reaction to it through the novel "Krav Al-Khataya" by Issa Lahilh, which places the character of the intellectual in conflict with authority on the one hand and with society on the other

Keywords: novel - conflict - power - intellectual - crisis.

مقدمة:

تعتبر الرواية وعاء أدبيا يستوعب الدفقات الشعورية الانسانية التي يعيشها الفرد/المثقف، خاصة في فترة تجتمع فيها المفارقات المتباينة من أزمات وعنف وتلاعبات وتسلب بحضورها جل المقومات الانسانية، وهذا ما حدث مع الرواية الجزائرية غداة الثورة والكتابات الابداعية المصاحبة لها، فالأزمات المتلاحقة ترسخت في ذهنية المثقف الجزائري الواعي بمأساوية الوضع وارتداداته التي تستهدفه بدافع الخوف منه الى قهره وتقزيمه ومحاولة القضاء عليه وعلى وعيه الذي يهدد مصالحهم ومخططاتهم السياسية.

كان للرواية دور بارز في استيعاب بركانية الثورة وتمردها فلامست نفسية القارئ وذهنه ونفلت إليه بسلاسله وهدوء ما يحدث في الطبقة السياسية الحاكمة، وكأنها تصفع برفق لتوقظ الحس الثوري وتوحد الصفوف بتوحيد الهدف والدعوة الى الدفاع عن الحرية وجل الحقوق.

وقد وجهّت أزمة السبعينيات أقلام الروائيين الجزائريين باعتبارها ظرفا تاريخيا سجلّ نفسه بقوة وأتاح فرصة خوض غمار مرحلة روائية جديدة، تضمن للكاتب الجزائري مادة دسمة تحقق مسايرته قالبه الذي يعكس وعيه ويجسد ثقل فهمه واستيعابه للأوضاع السائدة في البلاد.

فالكاتب باعتباره ممثل الطبقة المثقفة في المجتمع يحاول أن يحلل الوضع السائد كما يناوش السلطة بقلمه ووعيه، فنجد أن ثنائية المثقف والسلطة قد لعبت أدوارا كثيرة في الميدان الابداعي، كما حاول كثير من النّقاد والمفكرين وضع معالم وحدود لمفهومية السلطة منهم "ميشال فوكو" الذي يرى بأن مفهوم السلطة لا يستند على فلسفة في التاريخ أو رؤية للعالم أو نظرية سياسية محددة، وإنما يرتكز على مفهوم استراتيجي يركز بالدّرجة الاولى على واقع الصراعات التي تخترق الحقل الاجتماعي: "فالسّلطة ليست مؤسسة كما أنها ليست قوة معينة وهبت للبعض، أنها الاسم الذي نطلقه على استراتيجية معقدة في مجتمع معين" في حين أن (بيار بورديو) يرى "أن السلطة ليست شيئا متموضعا في مكان ما ، و إنما هي عبارة عن نظام من العلاقات المتشابكة .

استنادا الى رأي (فوكو) و(بورديو) تحاول هذه الدراسة الوقوف عند رواية "كراف الخطايا" لـ(عبد الله عيسى لحيلح) التي عبّرت عن ثنائية السلطة والمثقف، أين أضحت تيمة المثقف مادة تشكلت منها البنية السردية الروائية، فقد حاول الروائي طرح معظم موضوعاتها وإضاءة جلّ جوانبها الحياتية التي تعد مثارا للجدل في وقتنا الراهن. فغدت هذه الشخصية المثقفة والمجسدة في شخص "منصور" مهيمنة على معظم الساحة السردية في الرواية، أين تجلى صراع المثقف والسلطة وقلق الوجود والضياع والعبث المفروض مع الحياة.

1-المثقف والثقافة:

أما مصطلح المثقف فلقد اختلفت حوله الآراء فهناك من يعتبر "الثقافة مرادفة لكلمة culture في حين كانت كلمة "مثقف" مرادفة لكلمة intellectuel، واللفظان لا يأخذان معناهما كاملا كما يستعملان في الخطاب العربي المعاصر، والا بعودتنا الى سياق الخطاب الأوروبي المعاصر، لا في سياق خطابنا العربي القديم"[1] ذلك أن شيوع استعمال هذين اللفظين هو

[1]زكي العليو: المثقف، مداخل التعريف والأدوار، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص50.

انبهارنا بالغرب واستيقاظنا على حرب نابليون الذي قيل عنه ناشرا للحضارة الأوروبية/الفرنسية ومنه ارتبط معنى " الثقافة" و"المثقف" بسياق الخطاب الاوروبي.، فكان " لابد إذا من تحديد المفهوم لهذه "الثقافة" من داخل الوطن العربي ذاته، سنفكر فيها ونتحدث عنها بالمعنى العربي للكلمة، وهذا المعنى ولو أنه مولد حديث، فهو يتميز بتلك العلاقة العضوية، واللغوية الاشتقاقية بين كلمة "ثقافة" وكلمة "مثقف" وهي علاقة لا نجدها في اللغات الأوروبية حيث تنفصل الكلمة الدّالة عن " الثقافة"/culture" عن الكلمة الدالة على "المثقفintellectuel انفصالات لغويا تاما"[2].

إن ما ينقص المثقف العربي هو ووعيه باستقلاليته عن نظيره الغربي، فليس شرطا أن ما جاء به الغرب هو الأصح والأسلم وواجب علينا اتباعه، بل الشرط الذي لابد أن يترسخ في ذهنية العربي هو أننا أمّة لها فكرها وتراثها وتاريخها وحريتها الفكرية والابداعية التي تؤكد مشروعية الانتاج على جميع الأصعدة "فالشخص الذي يحتمل أن يصبح خائنا لثقافته بسبب محاصرته لأنماط حياة متنافسة، سوف يشعر بالضغط إمّا للعودة من حيث جاء، أو أن يصبح شيئا آخر مختلف تماما"[3] فالهزائم الثقافية المتوالية التي لحقت بالمثقف العربي أفرزت جملة منهم تنكروا للّغة العربية ولهويتهم ليعززوا الغزو الغربي ويجسدوا الخيانة والتّواطؤ.

2-المثقف وأزمة الكتابة:

سايرت الرواية الجزائرية في فترة التسعينات الواقع وواجهته بنفس درجة العنف الموجود فيه، نجد نصوصا ابداعية كتبت بعنف الواقع وتحدّته بوعيها كل في مجاله، فقد كتب الصحفي بلغة العنف الاعلامي وكتب المثقف بلغة العنف الابداعي وكتب العسكري بلغة الدّم والكفاح،

---

[2]-المرجع السابق، ص51.

[3]-ميشيل تومنبسون وآخرون: نظرية الثقافة، ترجمة د. سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط1، سنة 1977، ص383.

كل الكتابات تضافرت لتفرز نصوصا واجهة الواقع وعبّرت عنه وعن السائد فيه من تناقضات محاولة استشراف مستقبل الواضع المربك.

هي حقبة زمنية مرت بها الجزائر اختلطت فيها الأوضاع كاختلاط النّوايا، فتصارعت المصالح الشخصية من جهة والمصالح الوطنية من جهة وكثرت الأقنعة فأصبح من الصعوبة بما كان التّمييز بين الحقيقي والمزيف، وهذا ما نجده أيضا على الصعيد الابداعي اذ هناك من يكتب ليخدم ذاته متجاوزا حق وطنه عليه، وهناك من قمع استرسل ذاته وكتبها ليعبّر عنها باعتبارها شاهدا على الحدث.

كتب "عيسى لحيلح" عن الثورة التي عاشها ولم يسلم من مخالبها القاسية، وباعتباره مثقفا فقد كتب ذاته المعنفة وأناه الصارخة وهذا ما نلمسه في التّقاطعات البارزة بين شخصيته وشخصية (منصور) الجامعي المثقف بطل نصه "كراف الخطايا". فهو مولع بتسريد خواطره الليلية المجسدة لصراع الفرد والمجتمع، هو تصريح بمرحلة التسعينات التي عاشها الروائي وأثرت فيه وفي انجازه المتخيل الذي ربط جسرا وثيقا مع القارئ وحسسه بهلع الحقبة ومأساويتها، وهو وضع مسّ كل الجزائريين وتوثق في الذاكرة الجمعية للمجتمع الجزائري.

يظهر التّطابق بين الراوي وبطل النّص حتى في الشكل الخارجي نقصد هنا اللحية الحمراء "كل الغرباء واللاّمنتمين...شعره منفوش، شعر ذقنه الأشقر صار يبدو وكأنه لحية، أما فحْصته فقد مال لونها إلى السواد"[4] كما انهما ينتميان الى مرحلة عمرية واحدة (الاربعينيات) إذ أن الفارق بين الجزء الأول والثاني هو عشر سنوات على اعتبار أن لحيلح من مواليد 1963م، أيضا تجمعهما الثقافة الواسعة ومجالات اهتمام موحدة من مطالعة وكتابة.

يقوم (لحيلح) بعملية جرد ايديولوجي لمختلف شرائح المجتمع الجزائري في فترات زمنية بعينها، ليتعرض إلى فصول وأسباب الأزمة في الجزائر اعتمادا على نمذجة شخصيات المتن

---

[4]–المدونة، ج1، ص76.

السردي اذ أن كل شخصية هي تجسيد لتيار سياسي وفكري بعينه، فكان البطل مثقف بدرجة كبيرة تتيح له تعرية المستور وكشف خبايا القضايا الاجتماعية الاليمة من خلال كتابته لواقع قرية صغيرة كانت بمثابة عينة تمثل المجتمع الجزائري ككل، فكان منصور المثقف الغريب بين اهله غربة فكرية ذهنية لا تجد من يتفهمها ويتأقلم معها.

3-صراع المثقف مع السلطة والمجتمع:

عاش المثقف وسط بيئة النفاق والكره وصراع المصالح الشخصية هذا ما دفعه الى الهروب لعالم الجنون كسلاح يتغلب به على كمية الجهل والزور المتفشية في القرية، ونجاحه في مسرحيته الجنونية سهل له الوصول الى الحقائق المدفونة وخلع الاقنعة الكاذبة، فقد اعتمد الراوي على وصف خطط وحيل الشخصية المجنونة التي تساعده في الوصول إلى الحقيقة، ونجده في هذا المسار يلجأ إلى تصرفات خارجة عن النّسق العام الاجتماعي المعروف على نحو ما نجد في وصفه للقائه مع أخته على أنّها خليلته تضليلا لأهل القرية من أجل كشف حقيقتهم وتعرية تفكيرهم الجاهل.

نتج عن ذلك تسارع أهل القرية إلى منصور وانهالوا عليه بالهدايا والعطايا طمعا في أن ينال كل واحد منهم شيئا من الخليلة، قبل (منصور) الهدايا واعطاهم موعدا واحد في ليلة واحدة على أن تكون الاشارة الضوئية هي الدليل، ولحظة الموعد اجتمع كل الطماعين من أهل القرية ومعظمهم من وجهائها وعلى رأسهم امام القرية الممثل **للسلطة الدينية**، وكثيرة هي المطبات التي توقع بأهل القرية وتكشف دناءة البشر.

يصوّر الكاتب كيف دوّن (منصور) كل شاردة وواردة متتبعا اثر الخطايا خطوة خطوة، سواء بما كتبه في كراسته أو بتسجيلات على أشرطة الكاسيت بأصوات الحيوانات التي تضع كل طبقة في مكانها الحقيقي حسب رأيه المؤسس على حقائق كشفها وتأكد منها، هذا الشريط قلب الموازين وجلب اللعنة ل(منصور)، فأضحى يصارع العذاب ويواجه التّحقيقات وذلها، هذا ما دفع به الى الرحيل لكن قبل المغادرة قرر فضح كل شيء باستنساخ كراسته وتعليق النسخ

ليلا على جدران القرية ما جرّ عليها حربا غبراء قلبت كل الموازين واضحى الخوة والأصدقاء أعداء متناحرين جراء جرائم ارتكبها كل واحد في حق الأقرب إليه، هي خطايا موثقة بالتاريخ والساعة وأدق تفاصيل القضية مما ينفي أي احتمال للإنكار أو التهرب.

4-صراع المثقف مع السلطة:

يتجسد صراع الشخصية المثقفة في الرواية بعد عشر سنوات عندما يعود (منصور) في الجزء الثاني على أمل أن يجد الأوضاع قد تحسنت لكن يصاب بخيبة أمل فالحال ازداد سوء بترقية الإمام إلى رتبة نائب في البرلمان والسارق البسيط صار ينهب الملايير والرذيلة السرية صارت علنية، فسادت لغة الدم والسلاح لمكافحة النهب والرذيلة والسوء، فكان جهد (منصور) هباء وأضحت القرية صورة مقلّدة عن الدول الأوروبية من منتوجات وسلع وإعلانات دخيلة لمشروبات غربية ، ولباس العري المستهجن للذكور والإناث، كل هذا أحدث حرقة كبيرة لدى منصور خاصة بعد فقده لأحبته وعلى رأسهم "العم صالح القهواجي".

واستطاع (منصور) أن يتقرب من أهل القرية ويدخل حياتهم الخاصة بإيهامهم مرة أخرى على أنه عميل للمخابرات فوقف على اسرارهم لينقل لنا فجيعة الفترة وغرائبيتها، كيف استبيح الدم الجزائري والعرض والمال، كيف تغلب المصالح الشخصية وتتناحر متناسية دم الشهداء والأعداد الهائلة منهم، يستغرب (منصور) حال البلاد ويقف محتارا رغم أنه في سنّ الوعي سن الأربعين لكنه وهو ابن القرية لم يتمكن من استيعاب الوضع وفهم مجريات الاحداث، لينتهي به المطاف غريبا وحيدا يقف على هامش الاحداث واعدا بجزء ثالث يلملم فيه خيوط الوضع المميت. وهو حصر للوضع الجزائري في زمن تاريخي خالد جسد كل أنواع البشاعة التناقضات.

أن ما يهمنا في هذا الصدد هو التّقارب الفكري والتّماهي الذهني بين البطل والروائي، اذ أن هذا الأخير قد جسد شخصية مثقلة بالهم السياسي، والوعي الوطني الايديولوجي للوضع مستشرفا حال البلاد والعباد بعدها، فكانت الأزمة سببا في صقل فكر الروائي وتوجيهه نحو

منحى بعينه، تلك الظروف هي التي أفرزت الوعي الذي جسد شخصية (منصور) بجماليات معرفية وإيديولوجية حملها ذاته وأناه.

استهل (لحيلح) الرواية بوصف شخصية (منصور) دون ذكر اسمها على اعتبار أنها شخصية مثقفة واصفا حالتها الاجتماعية وصولا للصفحة الخامسة أين يصرح باسمها في قوله: "وهنا عاجله منصور بالسؤال"[5]، فمنصور أستاذ "لكنه أثر ان يأكل من عرق جبينه وكدّ اليمين حين يستعاض به عن استاذة تفرغت للوضع، أو إستاذ ألزمه المرض شهرا أو شهرين"[6] إنه المثقف الأكاديمي خريج جامعة فرنسية "كيف لهم أن يسيئوا به الظن وهو الذي يحمل شهادة من أعرق جامعات فرنسا"، فهو مزدوج الثقافة واللسان تعرف على الآخر عن قرب وواكبه عن كثب ، تشرّب الثقافة الغربية من مشاربها الصافية فأخذ عنهم شغف المطالعة والمعرفة وهذا ما تجلى في غرفة نومه إذا أن " أول ما يشد نظرك هذه الرفوف من الكتب السميكة والمجلدات الضخام، وما يليها من كتب ذات تغليف عادي وما يلي هذه من كتب أصغر هي كتب جيب، وأغلبها روايات وقصص ودواوين شعرية، وهو له مساهمات في القصة والشعر على كل حال"[7]، فنجده مستهلاك للثقافة الغربية ومنتجا في ذات الوقت، وهذا ما ينم عن وعيه المعرفي وقدرته على استيعاب الاخر ومنافسته.

في خضم السرد نجد أن (منصور) قد تعرض لأشكال كثيرة من العنف الرمزي وعلى اعتبار أن هذا الأخير حسب رأي (بيير بورديو) هو عنف غير فيزيائي، يتم أساسا عبر وسائل التربية وتلقين المعرفة والإيديولوجيا، وهو شكل لطيف وغير محسوس من العنف، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياهم أنفسهم. وينتقد (بورديو) الفكر الماركسي الذي لم يولي اهتماما كبيرا للأشكال المختلفة للعنف الرمزي، مهتما أكثرا بأشكال العنف المادي والاقتصادي، كما أشار

---

[5] المدونة، ج1، ص5.

[6] المدونة: ج1، ص1.

[7] المدونة،ج1، ص3.

(بورديو) إلى أن العنف الرمزي يمارس تأثيره حتى في المجال الاقتصادي نفسه، كما أنّه فعّال ويحقق نتائج أكثر من تلك التي يمكن أن يحققها العنف المادي أو البوليسي.

يمارس العنف الرمزي على الفاعلين الاجتماعيين بموافقتهم وتواطؤهم. ولذلك فهم غالبا ما لا يعترفون به كعنف؛ بحيث أنهم يتقبلونه كبديهيات أو مسلمات ويدمجونه داخل وسائل التربية والتنشئة الاجتماعية وأشكال التواصل الاجتماعية. فحسب وجهة نظر (بورديو) يمكننا فهم الأساس الحقيقي الذي تستند إليه السلطة السياسية في بسط سيطرتها وهيمنتها؛ فهي تستغل بذكاء التقنيات والآليات التي يمرر من خلالها العنف الرمزي، والتي تحقق نتيجة مضمونة بأقل التكاليف وبفعالية عالية، خاصة وان هناك توافق وانسجام على المستوى البنيات الموضوعية الواقعية ومستوى الذهنية الفكرية المقصودة.

العنف اذا له نوعان، فأمّا الأول فهو عنف ملموس مادي تختلف مظاهره، وأما الثاني فهو الذي تحدث عنه (بورديو) ووضح لنا أهم وسائله ومدى فعاليته التي ترضي السلطة السياسية، وعليه يمكننا القول باستحالة وجود مجتمعات انسانية تخلو من العنف بمظهريه، وهذا ما أكدته الدراسات التاريخية للمجتمعات البشرية.

يعتمد العنف الرمزي أساسا على الاشارات والإيحاءات الضمنية المتخفية في طيات الكلمات المنمقة البريئة، فهو ضغط نفسي يستهدف صاحبه دون ان يشعر به المحيطون به، هو سلاح خفي مدمّر يستهدف الفكر ومعنويات الشخصية المراد تدميرها، والتي تصاب بداء الخوف، والرعب، والارهاق الشديدين ممّا يؤدي بها إلى الانطواء والعزلة ويقضي فيها على كل الطاقات الابداعية والايجابية، هو داء يقتل صاحبه من الداخل ويفتك به تدريجيا معتمدا جمالية الاهتمام والحب والكلام المرموق والمعاملة الطيبة.

وهذا ما تجلى في العلاقات الرابطة بين أهل القرية، والتي سيطر عليها الزيف والنّفاق والكذب، فكانت الاهتمامات والمجاملات والمحبة الاخوية مجرد قناع يتخفى وراءه المنافقون لخدمة مصالحهم الشخصية.

يعتبر العنف الرمزي تيمة بالغة الاهمية تيسر للمبدع التعبير عمّا يعتري مجتمعه من ضغوطات سياسية تمارس على الطبقة المثقفة التي ترهب بثقافتها وعلمها كل من يحاول طمس هوية الوطن والمساس بقدسيته، وهذا ما تجسد في الكتابات الروائية الجزائرية التي تناولت موضوع الثورة والارتدادات السياسية المصاحبة لها، فنجد روايةّ كراف الخطاياّ ل(عيسى لحيلح) من أهم الروايات التي تحدثت عن قترة ما بعد الثورة على اعتبار أنها فترة ساخنة ومشحونة اختلطت فيها كل الحسابات ووصلنا لمرحلة من يقتل من.

4- تداعيات السلطة وأثرها على المثقف:

اهتمت الرواية بمصير النهضة في المجتمع الجزائري وهذا ما يؤكد قضية تعنيف المثقف وتغريبه من خلال سلب حريته جراء تدخل السلطة السياسية والاجتماعية في الحرية الشخصية وقمعها، هذا ما خيب أمل المثقف وخلق لديه انتكاسة جراء انكسار المشروع النهضوي القومي، ونظرا لنضج الوعي لدى الكاتب نجده متأثرا كثيرا لما يصيب الوطن من ازمات وألام على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي، فيأبى الوقوف كمتفرج بل يلج إلى داخل الازمة باحثا عن حلول مجربا ما قرأه مستثمرا وعيه وثقافته وسعة اطلاعه، وهنا نقف عند ايجابية المثقف ومدى فاعليته تجاه وطنه وشعبه.

أ- السلطة الدينية:

يتعرض (لحيلح) في نصه إلى قضية أدلجة المؤسسة الدينية وكيف تتحول الدعوة الى الله والامامة الى مهنة لتحقيق المصالح الشخصية المادية، فتصبح الفتوى الشرعية تُفتى بحسب المفتي له وهنا تميل الكفة لمن معه المصلحة ولمن يدفع اكثر، هذا ما دفع بمنصور ذات يوم بعد صلاة الفجر التوجه للإمام بقوله:" يا شيخ، هل يجوز في ديننا أن نخدع الناس؟ تحرك الشيخ في جلسته وأكرم لحيته بمداعبة خفيفة، وقال بلغة باردة وقور، رغم ما يسري فيها من حرارة الصدق ولست أدري لماذا تصير جمرات الدّين قطعا من جليد بين شفاه المتدينين؟ لا يجوز في ديننا أن نخدع أحد مهما كان دينه أو لونه أو وطنه. وسكت كأنه قد أنتهى من قراءة

نص مقدس، لا يجوز فيه زيادة ولا يجوز فيه نقصان، أو هكذا أراد ان يوحي لمن يسمعه"[8]، فقد أكد الامام بفتوته حكم تحريم الخداع، لكن منصور كان في ذهنه شيء اخر فقد واصل حواره مع الامام وفتح أمامه قضية صاحب المقهى "العم صالح" الذي احتال على إحدى الفرنسيات وتظاهر بحبه الشديد لها حتى ملّكته أموالها فتركها في بلدها وعاد غنيا ووجيها من وجهاء القرية، له مقهى وبيت مزخرف وأدى فريضة الحج. ارتبك الامام وأحس بالشرك الذي نصبه منصور فأصبح يقلب رأسه باحثا عن حسن التخلص دون ان يسجل تناقض في فتوته الاولى، فيقول:" يا ولدي لكل مقام مقال وليس كل ما يعرف يقال زد فوق هذا: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"[9] فهكذا يوظف الدين في القرية وهذا هو المقصود بأدلجة الدين.

ب-السلطة الاقتصادية:

كما نجد أيضا أدلجة اقتصادية وهذا ما تجلى في تكالب المسؤولين على نهب المال العام بطريقة بشعة " حديثهم هذه المرة عن سوق الفلاح ...احتاروا من نهبه....ولم تمض ساعات قلائل حتى انتشر خبر بينهم فحواه أن مصالح الامن قد ألقت القبض على اللصوص ...وأشهد يا أبي ان مجموعة الشباب الذين سجنتهم الدولة بريؤون ... إنهم رئيس البلدية ومدير سوق الفلاح"[10]، فكلما ضيقت الدائرة على فئة المسؤولين اتجهوا الى نهب المال على أنه يعيد لهم النّفوذ ويعوض سلطتهم المفقودة، فيكون المثقف في هذا المجتمع قابعا تحت رحمة الخوف من ابداء شهادته او التصريح بما برأيه وما شاهده من فساد، فهي فئة لا ترحم تسوق كل من يعترض طريقها.

---

[8] المدونة، ج1، ص7.

[9] المدونة: .ج1، ص 7

[10] المدونة: ج1، ص244-245.

ج-السلطة السياسية:

تعرض (لحيلح) أيضا إلى جانب الأمن في الجزائر، فقدم المؤسسات الأمنية في الجزء الأول على أنها خطر دائم يهدد المثقف بثلاثية " السوط، القفص، الهراوة" أما في الجزر الثاني فالأمر سار اكثر تعقيد اذ انه يتعلق بالمخابرات خاصة وأن (منصور) هو من يمتلك السلطة المخابراتية حسب الشائعة الرائجة والتي فتحت لهذا المثقف المسكين بابا لرؤية الحياة من فوق كما كان يراها غيره من أصحاب السطلة، جعلت منه انسانا متحررا من الخوف وطأطأة الرأس، هي مفارقة عجيبة فلانه مثقف عاش مضطهدا ولكن الكذبة غيرت حياته وصنعت له سلطة وجاه، هو مجتمع زيف وكذب لا مكان للصدق والحق فيه.

أراد (لحيلح) من خلال توظيفه قضية أدلجة كل من الدّين والاقتصاد والأمن القول بتدهور منظومة القيم في المجتمع الجزائري، فقد سادت المصلحة والزيف والرياء وأضحت الماديات تطغى على حساب المبادئ الأخلاقية والشريعة الاسلامية، فهذه الخلخلة الاجتماعية انعكست على المثقف الجزائري ومارست عليه خلخلة نفسية داخلية عمّقت فيه شعور التّعنيف المجسد في اتخاذ الصمت الملجأ الوحيد لضمان العيش وان كانت عيشة فحواها الذّل والتّهميش والاضطهاد إلاّ أنها تبقى عيشة تحمل أمل التّغيير، فقد كتب النّص عن "ذلك الانسان الذي يدرك ويعي التّعارض القائم فيه وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العلمية وبين الايديولوجيا السائدة"[11] هذا ما قصده (لحيلح) في نصه الروائي.

نجد أن المثقف في الرواية يتعرض لتعنيف كبير يحول إلى إحساس بالاغتراب ما يولد " الانطواء والعزلة، وإدمان الخمر، الانتحار، الرغبة في الانتقام، اللجوء الى القتل، الاستحضار الدائم للموت، ألفة القبو، اللامبالاة، الجنون والصرع، التطرف الديني"[12]، فبقاؤه دون منصب

---

[11] جون بول سارتر: دفاع عن المثقفين، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات الآداب، بيروت، ط1، 1973، ص33.

[12] يحي عبد الله، الاغتراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص256.

عمل إقصاء وتهميش، خاصة وأنه صاحب شهادة عليا قلما يصل إليها أحد، هنا نجد أن منصور يتقاطع مع (لحيلح) اذ أن هذا الأخير يقرّ للروائي الكبير الطاهر وطار رحمه الله بأن أصعب مرحلة مرّت عليه في حياته هي مرحلة الأزمة في الجزائر فهي منعرج حاسم في البلاد وعلى مستواه الشخصي أيضا، فانتقل من مرحلة الفرد المثقف الهادئ الجبان والمعنّف إلى مرحلة الفرد الثائر سياسيا والمتمرد حاملا سلاحه ضد الآخر، لأن أشكال القمع التي تعرض لها حتّمت عليه الدفاع عن نفسه ومواجهة رمزيات العنف المقنعة بالثورة الايديولوجية بعنف مضاعف رغبا في دحر الظلم وتحقيق ذاته والدفاع عن افكاره التي تمثل الحقيقة المراد قتلها، فصعوده للجبل رد فعل غير إرادي وغير متوقع لكنه مفروض "فقد أجبر على هجر مدرج الدراسة بجامعة قسنطينة، ترك طلبته وطالباته والقلم والقرطاس وجاء يعظ ويرشد ويقتل...يمتلئ شعرا يمتلئ وجدا، يمتلئ حبا يمتلئ كراهية.."[13]

يبين هذا الشاهد هوة سحيقة بين ذات مثقفة ومجتمع ناكر قامع لها، وهذه الهوة تنتج حتما تمردا على العالم الخارجي باحثتا عن موقعها الحقيقي، ولأن موقها منعدم تحوّلت لغة الثقافة إلى سلاح ودم، يقول (منصور): "وأنا يا أبي كأني مصاب بداء المثقفين العضال، لا قدرة لي على المواجهة ولا طاقة لي بالحياة الخشنة، ويا كم أخاف أن أراني أتفيأ ظلال مشنقة يوما ما، أو أؤنس وحشة زنزانة رطبة، أو أرى دمي على إسفلت الطريق...ربما انا جبان ولا عيبا الجبن في المثقفين، ربما أنا مثلهم لي رغبة في ان اكل قوتي بالشوكة والسكين..."[14] ف(منصور) ينسب الجبن على أنه صفة كل المثقفين وهذا ما تجلى في الرواية لكن في الواقع نجد أن (لحيلح) لم يكن جبانا بل حمل السلاح وواجه العنيف بكل قوة وربما هذا الفارق الوحيد الذي نلمسه في مقارنتنا بين (لحيلح) الواقعي و(منصور) المتخيل الروائي.

---

[13] الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزّكي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، مارس 2000م، ص121

[14] المدونة،ج1، ص148.

نسجل في الرواية هروب (منصور) من القرية الذي دام عشر سنوات، و نجد (لحيلح) قد صعد الجبل فرارا من الواقع، فهنا تقاطع آخر يترجم غياب الانسجام بين الفرد ومجتمعه وغياب القدرة على تغير واقع باسره، فمنصور عندما عاد بعد عشر سنوات وجد الوضع أكثر فظاعة ولم يجد حلا سوى أن توعدنا بجزء ثالث علّه يخط فيه شيء ما.

أما (لحيلح) فقد صعد الجبل تاركا منصبه وحياته لكنه سرعان ما عاد اليها وهذا ينم عن أن المثقف لا يرضى بالعنف بل يحاول دائما تغيير الواقع والتعايش معه نافيا لغة الدم والسلاح دون تنازله عن اهدافه وقناعاته " ومعنى هذا أن صدق الوعي قد أصبح مرادفا لعدم القدرة على الإمساك بالواقع كله فضلا عن تفسيره"[15] كان واقعا مريرا فاق كل التوقعات.

يقوم النّص الروائي الذي بين أيدينا على جدلية المثقف والعنف الممارس عليه من طرف السلطة والمجتمع ، فعندما لا تغلق كل الأبواب يختار المثقف عزلة " في مكان بعيد متحاشيا العالم الخارجي، الا" أن الانعزال يشمل الذات المزدراة، الذّات المصدومة المنهزمة أمام واقع صلب كالصخرة، الذات المهزوزة وقد مورس عليها أعنف فعل ممكن: إنه الاهمال والاقصاء وكذلك تحسيسها بالدونية وباللاجدوى، يليها الانعزال، أي تحاشي العالم والذات، الاعتزال وهو أن تكون الذات رهينة حالة التشنّج الفكري أو حالة من الموت الاكلينيكي".[16]

كل هذا ما جعل "منصور" يفكر ويعتزل العالم وذاته في حقبة من الزمن لكن سرعان ما يعود للمجتمع ليحتك به ويعانده ويقف في مواجهة لعبة من يمحو من، فكلاهما رافض للأخر راغب في القضاء عليه ليتفرد بالسيادة، فماكنت عودة منصور الاّ عودة تؤسس لجزر

---

[15] رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق،عمان،الأردن،ط2003،1م، ص201

[16] محمد معتصم: الرؤية الفجائعية للأدب العربي في القرن وبداية الالفية الثالثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001، ص184.

اخر، وما كانت عودت (لحيلح) إلاّ جراء الوئام المدني الذي غير مجرى علاقة شعب البلاد فساد السلام وعمّ الامن.

خاتمة:

جسّدت الرواية صراع المبادئ والقيم من جهة والمصالح الشخصية من جهة أخرى، فكانت الكفة الأولى ممثلة في المثقف وجملة القناعات الواعية التي جمعها من العلم والمعرفة ورؤيته الثائرة للعالم رغبة منه في التغيير والتجديد، في حين كانت الثانية إفرازات راهن ساير الواقع بفظاعته التي قلبت الموازين وجابهت الأخلاق لهدف تحقيق مادياتها الوحشية، هو صراع أراد به الكاتب الغوص في عمق الأفكار ومناقشتها وتحليلها ونقدها، هو كشف لحيثيات المجتمع إبان فترة حرجة اختلط فيها الموازين، مؤكدا على الدّور الضروري الذي يلعبه المثقف في المجتمع مهما تكالبت عليه الضغوطات فالاستسلام غير مسموح به.

يؤكد النّص ثورة (لحيلح) الواقعي ومنصور المتخيل في النّص السردي، فهو من نقل تجربته الواقعية المريرة وجسد منعرجا حاسما من منعرجات الجزائر موظفا أدق تفاصيل المجتمع حينها.

وفي الختام نؤكد على فكرة التّماهي الذهني المحققة في الرواية، بعد الوقوف عند مواقف كثيرة تجمع بين الكاتب الحقيقي والبطل المتخيل خاصة جانب التعنيف الممارس عليهما باعتبارهما مثقفان عايشا الازمة وحاولا تغيير مسارها والبحث عن حلول بأخف الأضرار، فقد عمل منصور على ايصال افكاره لأهل القرية محاولة منه لتغيير نمط التّفكير الخاطئ السائد آنذاك، لكن دون جدوى فنجده يعمل على جمع خطاياهم ونشرها ظنا منه أن هذا الصنيع سيولد ثورة تطهر النّفوس والعقول وتخلق بداية جديدة واعية ونزيهة لكنه يُصدم بنتيجة عكسية فيتفاقم الوضع ويقع ما لم يكن في الحسبان.

لقد كتب (لحيلح) عن مجتمع ساد فيه الفساد على جميع الاصعدة، فتفشت المصلحة الشخصية على حساب القيم الاخلاقية والمبادئ الدينية وأضحت المادة والسلطة مطمع الرعاة، فالكاتب حلل المجتمع وفضح مقوماته محاولا استشراف مستقبله بوجهة نظر بطل ثوري مثقف يؤكد وجود بذرة صالحة وسط مجتمع متعفن وكأنّها بصيص أمل يقاوم للبقاء والاشراق في سماء عالية وتمسح الظلام عن مجتمع يئن تحت وطأة الفساد.

قائمة المصادر والمراجع:

المدونة:

عيسى لحيلح: كراف الخطايا، الجزء الاول، مطبعة دار المعارف، عنابة، الطبعة الأولى، 2002.

قائمة المراجع:

1. الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزّكي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، مارس 2000م.
2. الشريف حبيلة، الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1 ، 2010.
3. عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة–استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى جدار للكتاب العالمي عمان الأردن ، ط1، 2009.
4. زكي العليو: المثقف، مداخل التعريف والادوار، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
5. رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق،عمان،الأردن،ط2003،1م.
6. جون بول سارتر: دفاع عن المثقفين، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات الآداب، بيروت، ط1، 1973، ص33.
7. محمد معتصم: الرؤية الفجائعية للأدب العربي في القرن وبداية الالفية الثالثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2001، ص184
8. ميشيل تومنبسون وآخرون: نظرية الثقافة، ترجمة د. سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط1، سنة 1977.
9. يحي عبد الله، الاغتراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص256.